الفصل السادس

ثقافة الذاكرة وثقافة الإبداع
في كتب اللغة العربيـــة (*)

من المسلم به أن الانسان هو الثروة الأساسية للأمة ؛ ومن ثم فإن تنمية القدرة الخلاقة والمبدعة تصبح هي الهدف الأسمى لأي نظام تعليمي إذا ما أردنا للمجتمع أن يرقى وينهض ، وإذا ما قصدنا للأمة نماء اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً .

إن مصر بحاجة إلى الاهتمام بطاقاتها البشرية ، وفي حاجة إلى استثمار هذه الطاقات استثماراً حسناً ؛ فنحن لا نستطيع أن نستمر في الحياة على فتات موائد الدول الأخرى (عبد السلام عبد الغفار ١٩٧٧ ، ص ١٢٤) . بل لابد أن يأتي اليوم الذي نقف فيه على أقدامنا ، ولن يأتي هذا اليوم إلا إذا بذلنا الاهتمام والعناية بطاقاتنا المختلفة ، والطاقات البشرية من أهم هذه الطاقات ، والقدرة على الإنتاج الابتكاري هي تلك القدرة التي تكمن وراء التطور الثقافي للإنسان .

المبدعون هم ركائز أساسية وضرورية لمجتمع متقدم ؛ فهم ينتجون المعرفة الإنسانية ويطورونها ويطوعونها للتطبيق ، وهم الأمل في حل المشكلات التي تعوق التقدم الحضاري ، وهم القوة الدافعة نحو تقدم الوطن ورفاهيته وإسعاده .

وليس أداء المبدعين نتاجاً لقدرات عقلية معرفية فحسب ، ولا هو مزيج من القدرات المعرفية والسمات المزاجية للفرد فقط ، بل هو يتم في سياق اجتماعي يحيط بالفرد في مراحل عمره المختلفة ، ييسر ظهور الأداء الإبداعي ، ويدفع إلى تنميته ، أو يعوق ظهوره ويحول دون استمراره .

إن ضخامة الخسائر في الثروة الإنسانية تتمثل في أطفال نابغين لا يجدون تشجيعاً على إظهار نوع من البحث عن هويتهم ، يمنعهم أباؤهم أو مدرسوهم عن مواصلة هذا البحث عن هويتهم ، فيضيعون في الطريق ، ويتوقفون عن بحث هويتهم

(*) مجلة دراسات تربوية ، مركز البحوث التربوية ، جامعة قطر . المجلد السابع والعشرون ١٩٨٩ .

لتحقيق إمكاناتهم من خلالها في سياق إجتماعي مناسب ومشجع . إنهم قد يصبحون منحرفين ، منهم يخرج الجانحون ، ومدمنو المسكرات ، والمقدمون على الانتحار ، والمرضى النفسيون .

هناك خمسة مجالات رئيسية للسياق النفسي الاجتماعي للإبداع (عبد الحليم السيد ، ١٩٨٠ ، ص ٧ – ١٠) الأسرة ، والأقران ، والمدرسة ، وجماعات العمل ، ووسائل الأعلام ، والسياق النفسي الاجتماعي لإحداها يؤثر بطريقة أو بأخرى في باقي المجالات .

والمدرسة باعتبارها سياقاً نفسياً اجتماعياً أساسياً للبحث الحالي مجال مهم من هذه المجالات ، لها أهمية واضحة في التشجيع على الإبداع ، وتنميته أو التنفير منه وإعاقته . فهي تقدم للمتعلم خبرات متنوعة شاملة ومتكاملة من خلال المنهج المدرسي بمفهومه الواسع ، والمتعلم يتلقي من هذه الخبرات المنظمة ما يعده للاستجابة بطريقة موجبة أو سالبة لخبرات حيوية قادمة ، ويتم تدريبه على تنظيم بعض وظائفه الحيوية ، ويصحب التدريب جو وجداني خاص يغلب عليه الحب والتقبل والتشجيع أو عكس ذلك ، ويتعلم من خلال هذه الخبرات التي تقدم له والتي يعايشها أنه متميز يمكنه السيطرة على وظائفه . وأنه يمكنه إنجاز الخبرات الجديدة وحل المشكلات ، بل يتم تدريبه على إعادة التوافق مع ظروف الإحباط والفشل خلال محاولاته التوصل للحلول المناسبة .

والمدرسة باعتبارها بيئة نقية أوجدها المجتمع للتربية . والمنهج الدراسي باعتباره حياة المدرسة يتيح الفرص لحرية توجيه الأسئلة والاستفسارات ، ومحاولات الاستكشاف واستخدام الخيال ، وتقبل الخبرات الجديدة الوافدة من المنزل أو جماعات الأصدقاء بل تأييدها . ويتيح المنهج الدراسي الفرص أمام المتعلمين لتحقيق الثقة بالنفس وروح المخاطرة في مواصلة البحث والكشف وحب الاستطلاع . والدافع للإنجاز الذي يدفع إلى المخاطرة العلمية المحسوبة من أجل الاكتشاف والتحرر من الأساليب المعتادة للتفكير ، والميل إلى البحث في الاتجاهات الجديدة ، والإقدام نحو ما هو غير يقيني ، وتفحص البيئة بحثاً عن الخبرات الجديدة ، والمبادرة في الفحص والاستكشاف من أجل مزيد من المعرفة لنفسه وبيئته . وهذا يعنى أن المدرسة توفر

سياقاً نفسياً اجتماعياً يراعى سمات الإبداع وينميها خلال عملية التربية ، كما أنها تصاحب تلك التغييرات التكنولوجية والاجتماعية المتلاحقة المتسارعة بمحاولات للكشف عن ظروف تنمية إمكانات الإبداع لدى المتعلمين الفائقين . والمعلمون المبدعون يمثلون بدورهم عاملاً حاسماً في الأداء الإبداعي للمتعلمين الفائقين ، من حيث كونهم نماذج للتوحد ، ومن حيث استثارتهم لمواهب تلاميذهم ، ومحاولة تنمية هذه المواهب عن طريق تحقيق جو من التسامح والدفء العاطفي والحب والديمقراطية .

وإذا كانت المدرسة تمثل ثقافة جزئية للمجتمع ، فإنها تمثل ثقافة مؤثرة على الطفل في المرحلة العمرية التي ينمو فيها معرفياً ووجدانياً ومهارياً . كما أن المدرسة تمثل جانباً مهماً من جوانب التربية في حياته ، بل ربما هي كل التربية النظامية التي تؤثر فيه ، وبالتالي فإن دور المدرسة في تنمية الإبداع والتأثير إيجاباً أو سلباً في القدرات الإبداعية هو دور أساسي وجوهري (مراد وهبة بدون تاريخ ص ١) .

ودراسة القدرة على القراءة وعلاقتها بالإبداع حظيت بدراسات عديدة واهتم كثير من الباحثين بدراسة الفروق بين المتفوقين عقلياً والعاديين من الأطفال ، من حيث قدرتهم على القراءة ، وتشير البحوث التي أجريت في هذا المجال (عبد السلام عبد الغفار ص ١٠٨ ، ١٠٩) إلى أن هناك فروقاً بين المجموعتين من حيث : الوقت الذي يبدأ عنده الطفل القراءة . ومستواه في القراءة ، والقدر الذي يقرؤه .

فالأطفال المتفوقون يتعلمون القراءة قبل دخولهم المدرسة ، أو في السنة الأولى من التعليم ، وبعضهم يتعلم القراءة دون مساعدة الآخرين ، أو بمساعدة الآباء والأمهات ، كما أن ما قرأه المتفوقون يساوي ضعف ما قرأه العاديون ، وذلك على مدار شهرين من الزمن ، وأن متوسط الوقت الذي يقضيه الفائقون في القراءة يبلغ خمس ساعات أسبوعياً لدى البنين ، وسبع ساعات أسبوعياً لدى البنات . وتتشعب قراءات الفائقين عقلياً ، بحيث تغطي مجالات متعددة ، وتختلف ما بين القراءات العلمية إلى كتب تاريخية وقصص كوميدية وروايات حديثة وكتب فكاهية . فهم يقرءون في سن مبكرة ، ولديهم ميل غير عادي للقراءة ، ونضج مبكر في قراءة كتب

الكبار ، وقراءاتهم مستفيضة في مجالات متعددة ، ولديهم حصيلة لغوية في سن مبكرة ، ويستخدمون الجمل التامة في سن مبكرة أيضاً ، ويشغفون بالكتب ، ولديهم القدرة على تركيز الانتباه لمدة أطول من الطفل العادي ، والقدرة على إدراك العلاقات العِلِّيَّة أو السببية وميولهم متنوعة .

وأهم الصفات الانفعالية والاجتماعية التي تميز هؤلاء الفائقين القيادة والمبادأة في أوجه النشاط الاجتماعي ، والثقة بالنفس ، وحب الاستطلاع ، والشجاعة ، والاعتماد على النفس .

وقدر دارت دراسات الإبداع في محاور أساسية أهمها : دراسة التفكير الإبداعي من حيث علاقته بظروف البيئة المحيطة بصاحبه ، ومن حيث علاقة الإبداع والبحث في خصائص الناتج الإبداعي ذاته وما يميزه عن غيره من أعمال إبداعية أخرى ، وبحث العوامل العقلية والوجدانية التي تقف وراء الأداء الإبداعي ، ودراسة الإبداع من ناحية ارتقائه في مراحل عمرية مختلفة . وهذه الدراسات في مجملها تتناول البناء الشخصي للمبدع ، والصيغ التي تحكم تفاعله مع السياق الاجتماعي المحيط به .

واستكمالاً لهذا الإطار فقد اتجه البحث الحالي إلى محاولة كشف العلاقة بين محتوى الذاكرة والإبداع في كتب اللغة العربية بالحلقة الأولى من التعليم الأساسي في مصر على سبيل المثال .

وتتحدد مشكلة البحث في السؤال الرئيسي التالي : ما مكونات ومفردات الذاكرة والإبداع ؟ وما علاقتها بكتب اللغة العربية في مرحلة التعليم الأساسي ؟

وتتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية :

١ – ما مفردات الذاكرة والإبداع اللازمة لكتب اللغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ؟

٢ – إلى أي مدى تتحقق مفردات الإبداع والذاكرة في كتب اللغة العربية المقررة على التلاميذ في التعليم الأساسي ؟

٣ – إلى أي مدى تتحقق مفردات الإبداع والذاكرة في نماذج الأسئلة المطورة التي قدمت من قِبَل وزارة التربية والتعليم لتلاميذ الصفين الخامس والسادس ؟

٤ – إلى أي مدى تتحقق مفردات الإبداع والذاكرة في بعض الكتب الخارجية التي وافقت وزارة التربية والتعليم على تداولها ؟

وسيقتصر هذا البحث على ما يلي :

١ – كتب القراءة العربية المقدمة للتلاميذ في الصفوف من الأول حتى السادس من التعليم الأساسي ، وتشمل القراءة والمحفوظات الأدبية دونما الامتداد إلى القصص أو كتب القواعد النحوية في العام الدراسي ٨٨ /١٩٨٩ .

٢ – الكتب الخارجية التي ذكر عشرة معلمين من التعليم الأساسي أن التلاميذ يتداولونها ، والتي ذكر ستون تلميذاً – بواقع عشرة تلاميذ من كل صف دراسي – أنهم يستخدمونها ، وقد تم تحليل كتاب في كل صف دراسي من هذه الكتب ، وهو الكتاب الأكثر تكراراً لدى المعلمين والمتعلمين .

ويسير البحث في الخطوات الآتية على الترتيب .

١ – تتبع البحوث والدراسات والكتابات التي أجريت في مجال الإبداع بهدف :

أ) تحديد مفهوم الإبداع وأبعاده ومكوناته . وكذا مفهوم الذاكرة وأبعاده .

ب) استخلاص بعض المفردات التي يمكن استخدامها في تقويم كتب اللغة العربية من ناحيتي الذاكرة والإبداع .

٢ – إعداد أدوات البحث وتشمل :

أ) استبانة لتعرف مفردات الإبداع والذاكرة اللازمة لتقويم كتب اللغة العربية .

ب) قائمة بمفردات الإبداع وقائمة بمفردات الذاكرة ، والتأكد من صدقهما وثباتهما .

جـ) تحديد أسلوب تحليل المحتوى المناسب بقواعده وفئاته ومحدداته ، وبناء استمارة للتحليل في ضوء مفردات القائمة التي تم التوصل إليها .

٣ – تحديد كتب اللغة العربية المتاحة لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي وتشمل :

أ) كتب القراءة العربية المقررة على التلاميذ من الصف الأول حتى الصف السادس من التعليم الأساسي في العام الدراسي ١٩٨٩/٨٨ .

ب) نماذج الأسئلة المطورة التي أعدتها اللجان الفرعية المتخصصة المنبثقة من المجلس الأعلى للامتحانات والتقويم بوزارة التربية والتعليم المصرية للصفين الخامس والسادس في العام الدراسي ١٩٨٩/٨٨ .

جـ) بعض الكتب الخارجية الخاصة باللغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم الأساسي . والتي وافقت وزارة التربية والتعليم على تداولها في العام الدراسي نفسه .

٤ – تحليل هذه الفئات الثلاث من الكتب في ضوء قائمة مفردات الذاكرة والإبداع لمعرفة علاقتها بكل فئة على حدة من كتب اللغة العربية المتاحة للتلاميذ في الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ، وإعادة التحليل بعد أسبوعين من تاريخ التحليل الأول للتأكد من ثبات التحليل .

٥ – التوصل إلى النتائج وتفسيرها ومناقشتها وتقديم التوصيات التي تأخذ بالنتائج إلى حيز التطبيق العملي ، وكذا المقترحات التي تستكمل جوانب لم تتعرض لها الدراسة الحالية .

ويفيد هذا البحث في تطوير مناهج اللغة العربية تخطيطاً وتنفيذاً وتقويماً كما يلي :

١ – معرفة مفردات الإبداع تساعد مخططي المناهج ومؤلفي كتب اللغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم الأساسي في صياغة وتنظيم المحتوى اللغوي والثقافي ، ووضع خريطة التدريبات اللغوية بما يحقق ويؤكد هذه المفردات في تلك الكتب الدراسية .

٢ – تطوير معايير إجازة الكتب الخارجية في مجال اللغة العربية ، بحيث لا يجاز

كتاب خارجي ما لم تتوافر فيه مفردات الإبداع قبل إصدار قرار بالموافقة على تداوله .

٣ – تزويد معلمي اللغة العربية بمفرادات الإبداع ومفردات الذاكرة ؛ حتى تتم الإفادة من هذه وتلك عند القيام بالتدريس في شيء من التوازن الواعي .

٤ – تحويل البند الرابع من استراتيجية تطوير التعليم الخاص بخلق جيل من العلماء إلى واقع عملي يمارس في مدارسنا عند تأليف الكتب الدراسية ، وعند تنفيذ المناهج الدراسية ، وعند إعداد نماذج الأسئلة المطورة التي تقدم للتلاميذ ، وعند إعداد كتب التدريبات اللغوية في صفوف الدراسة المختلفة .

٥ – فتح الطريق أمام دراسات أخرى في مجال تعليم اللغة العربية وتطويرها على ضوء ثقافة الإبداع في مراحل تعليمية أخرى .

ويستخدم البحث الحالي المصطلحات الآتية :

١ – الإبـــداع :

إن متغير الإبداع يعني العديد من المعاني المختلفة لدى أناس مختلفين (صفوت فرج ١٩٨٣ ، ص ٢٩ – ٣٦) :

– فهو عند شتاين (١٩٥٥) العمليةُ التي ينتج عنها عمل جديد مقبول ذو فائدة لدى مجموعة من الناس ، وهو بهذا يشمل العمليات العقلية ، كما يشمل الإنتاج الإبداعي ، والأداء السلوكي الإبداعي أيضاً .

– وهو عند روجرز (١٩٥٩) خَلْقٌ لإنتاج جديد نسبياً ، ينمو معبراً عما في الفرد من تميز من ناحية ، وعند المواد والأحداث والناس والظروف المرتبطة بحياته من ناحية أخرى . أى أن الإبداع وعملياته لا تبدأ من عدم ، بل تستمد مكوناتها من تفاعل مستمر بين الفرد والبيئة .

– وهو عند تورانس (١٩٦٢) عمليةُ إدراك للعناصر الناقصة ، وتكوين الأفكار والفروض حولها . ثم اختبارها وربط النتائج ، وإجراء ما يتطلبه الموقف من تعديلات وإعادة اختبار الفروض .

- وهو عند جيلفورد خَلْقٌ أو ابتكار شيء جديد يأخذ شكل إنتاج ملموس أو سلوك متميز ، ويتسم التفكير المؤدي إلى هذا الإنتاج والسلوك بصفات هي الطلاقة والمرونة والأصالة ، فالإبداع عند جيلفورد تفكيرٌ تغييرى تتنوع فيه الإجابات المنتجة في سعى نحو الاختلاف والتفكير في عدة اتجاهات ، لا اتجاه واحد تفرضه المعلومات التقليدية .

وعادة ما تبدأ عملية الإبداع بشعور الفرد بحاجة ما يريد إشباعها ، وتولد لديه قوة كامنة هي الدافع . وهذا الدافع يقوى إذا توافرت حوافز خارجية وظروف بيئية مناسبة ، حيث يتحول الدافع الداخلي إلى سلوك فعال يهدف إلى إشباع حاجة الفرد . وبالرغم من أن عملية الإبداع عملية منظمة تسير في مراحل محددة ، وبنظام معين فإنها لا تظهر في تحديد واضح في سلوك المبدعين ؛ لأننا نركز اهتمامنا على المرحلة الأخيرة ، وهي السلوك الظاهر الذي يتمثل في إنتاج معين ، ونغفل ما يجري داخل الشخص من انفعالات ودوافع (سيد خير الله ، وإبراهيم الغمري ١٩٧١ ، ص ١٢) **وأهم الصفات الشخصية والأنماط السلوكية التي تميز المبدع ما يلي :**

- الثقة في نفسه إلى حد كبير ، وفي قدرته على تحقيق أهدافه وإنجاز أعماله .
- يشك في الاستنتاجات ، ولا يقبلها دون مناقشة ، وكذلك في صحة القوانين والنظريات ، والخطأ والصواب لديه أمر نسبى .
- الميل إلى التجديد والتغيير والابتعاد عن الأعمال الروتينية .
- مثابر لا يخضع بسهولة ، لديه عزم وتصميم على إيجاد حل لمشكلاته .
- لا يفرض سلطته على غيره ولا يخضع لسلطة أحد .
- الميل إلى البحث والتفكير في أمور يصعب التنبؤ بنتائجها ، ويفضل الأهداف ذات المخاطر المحسوبة على الأهداف المضمونة .
- تفضيل العمل بمفرده على العمل مع غيره ، ويناقش ما يصدر إليه من أوامر .
- يتأمل أفكاره ويتخيلها قبل أن يصدر حكمه فيها .

٢ - الذاكـــرة :

تعتبر الذاكرة ركيزة أساسية مميزة للنشاط النفسي ، ويفضل الذاكرة تثرى

الحياة العقلية بتصورات متعددة عما أدركه الفرد من أشياء أو ظاهرات في مواقف سابقة ، وبدون الذاكرة يصير التفكير الإنساني محدوداً للغاية ومقتصراً فقط على عملية الإدراك الحسي العياني المباشر . والنشاط النفسي وما يقوم عليه من قوانين التعليم يستلزم بالضرورة حفظاً وخزناً للمعلومات تساعد الفرد على فهم وتمثل المعلومات التي تتوفر له في مواقف أخرى ، وعلى تتابع عملية إقامة الروابط بين المعلومات التي يكتسبها في المواقف المتلاحقة ، وبدون هذه العملية العقلية لا يتحقق النمو الإنساني .

وتمثل الذاكرة في الغالب عاملاً يدخل في تكوين معظم العمليات العقلية وفي بنية الذكاء والقدرات العقلية ، كما تلعب دوراً بالغ الأهمية في التحصيل الدراسي . فالتلميذ في مدرسته مطالب باستيعاب قدر هائل ومتنوع من المادة الدراسية وتذكرها بدقة ؛ حتى يحقق تقدمه في الدراسة والنجاح في أداء الامتحانات والاختبارات .

والذاكرة الجيدة -- إذن – هي الذاكرة التي يتذكر صاحبها المادة اللازمة بسرعة ويحتفظ بها لفترة طويلة ، ويسترجعها بدقة ، ومن هنا يتفاوت الأفراد في مدى قوة ذاكرتهم وما يرتبط بها من عمليات نفسية . وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف الذاكرة بأنها « العملية العقلية التي يتم بها تسجيل الخبرة الماضية والاحتفاظ بها واسترجاعها غرضياً في المواقف المختلفة » (طلعت منصور وآخرون ص ٢١٥ ، ٢١٦) .

عينـــة الدراسة وأدواتهـــا

١ – عينة الدراسة :

تتحدد عينة الدراسة الحالية بكتب اللغة العربية المتاحة لطفل الحلقة الأولى من التعليم الأساسى . وقد شملت هذه الكتب فئات ثلاثاً هي : كتب القراءة العربية المقررة على تلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الساسي ، ونماذج الأسئلة المطورة التي أعدتها اللجان الفرعية المتخصصة المنبثقة من المجلس الأعلى للامتحانات والتقويم

بوزارة التربية والتعليم للصفين الخامس والسادس ، وبعض كتب اللغة العربية الخارجية التي وافقت وزارة التربية والتعليم على تداولها في العام الدراسي ١٩٨٨ / ١٩٨٩ . وقد تم اختيار هذه الكتب الخارجية ، بواقع كتاب واحد لكل صف دراسي من الصفوف الدراسية من الأول حتى السادس ، وروعى في تحديد هذه الكتب معرفة الشائع منها والمستخدم لدى تلاميذ كل صف دراسي ، عن طريق سؤال عشرة من المعلمين عن الكتاب الخارجي الذي يحظى باهتمام واستخدام التلاميذ في كل صف دراسي من الأول حتي السادس . ثم سؤال ستين تلميذاً ، بواقع عشرة تلاميذ من كل صف دراسي عن الكتاب الخارجي في اللغة العربية ، والذي يستخدمه كل منهم ، وتم اختيار كتاب واحد لكل صف دراسي هو الأكثر شيوعاً من بين ما يستخدمه التلاميذ من كتب خارجية وبين ما ذكره المعلمون العشرة .

وقد تم تحليل كل كتاب لمعرفة عدد الصفحات التي سيتم تحليلها ، وعدد الموضوعات أي النصوص القرائية والأدبية المتضمَّنة في كل كتاب ، وكذلك عدد التدريبات في كل كتاب على حِدَة . **ويتضح ذلك كما يلي :**

أ – أن عدد الكتب التي يتم تحليلها في الصفوف الدراسية الحالية ١٤ كتاباً ، منها ستة كتب للقراءة العربية ، وكتابان للنماذج المطورة في الأسئلة ، وستة كتب خارجية في اللغة العربية .

ب – أن عدد الصفحات التي تتضمنها هذه الكتب وصلت إلى ٢٥٢٥ صفحة .

جـ – أن عدد الموضوعات التي سيتم تحليلها وصل إلى ٥٥٤ موضوعاً .

د – أن عدد التدريبات التي سيتم تحليلها وصل إلى ٦٠٩٧ تدريباً .

٢ - قائمتا مفردات الإبداع والذاكرة :

الهدف من إعداد هاتين القائمتين هو معرفة المفردات التي يتضمنها الإبداع ، والمفردات التي تتضمنها الذاكرة بهدف تحليل كتب اللغة العربية في ضوئها .

وقد تم بناء هاتين القائمتين في ضوء :

أ – استبانة قدمت لعشرة من المتخصصين في الإبداع ومناهج اللغة العربية لمعرفة

المفردات اللازمة لكل ثقافة من هاتين الثقافتين .

ب – الكتابات التي تناولت الإبداع والتحصيل الدراسي ، وكذلك البحوث والدراسات التي أجريت في هذه المجالات والتي شكلت مصادر هذه الدراسة والمثبتة في قائمة بنهاية الدراسة الحالية .

وتم التوصل إلى نتائج هذه المصادر وحذف المفردات المتكررة ، وتقسيم كل قائمة إلى محورين : أولهما يتضمن مفردات ترتبط بتصميم المادة التعليمية ، وثانيهما يتضمن مفردات ترتبط بالتدريبات ، وتم عرض هذه المفردات على عشرة من المتخصصين في التفوق العقلي ومن لهم دراسات في الإبداع ، وكذلك من المتخصصين في تعليم اللغة العربية بهدف تعديل القائمتين على ضوء آرائهم ، وتم حذف وإعادة صياغة بعض المفردات ، وكذلك إضافة مفردات أخرى إلى القائمتين .

وأصبحت القائمتان في صورتهما النهائية ، بحيث تضمنت قائمة الإبداع عشرين مفردة نصفها يرتبط بتصميم المادة التعليمية ، ونصفها يرتبط بالتدريبات ، وكذلك الحال بالنسبة لقائمة الذاكرة . كما يتضح مما يلي :

(١) قائمة الإبداع

من ناحية تصميم المادة التعليمية :

١ – وضع المادة التعليمية على هيئة مشكلات .
٢ – عرض المادة على أنها نتيجة تطور لا يقف عند حد .
٣ – فتح المجال لخيال الطالب والتفكير المستقبلي .
٤ – إتاحة التحري العقلي بعرض المقدمات ، ثم النتائج .
٥ – عرض المادة في وحدات تشكل كلاً متكاملاً .
٦ – إفساح المجال للتجريد من حالات متعددة .
٧ – المادة تتضمن الكليات ، ثم الجزئيات .

٨ – اللغة تحقق للطالب التشجيع والتقبل .
٩ – تحرير عقلية الطالب من المحرمات الفكرية .
١٠ – الدعوة إلى فحص البيئة بحثاً عن خبرات جديدة .

من ناحية التدريبـات :

١١– إخضاع مادة الدرس للنقد وإبداء الرأي .
١٢– إتاحة الحوار بين الطالب والمعلم .
١٣– الدعوة إلى تفسير المادة العلمية .
١٤– الدعوة إلى الموازنة بين الآراء والحقائق .
١٥– استخدام التدريبات التكوينية لا التلقينية .
١٦– طلب إيجاد علاقات بين الأشياء والمجردات .
١٧– تجاوز وصف الصورة إلى بيان الرأي والربط .
١٨– إتاحة الفرص للتعلم الذاتي .
١٩– الدعوة إلى استخدام الخيال .
٢٠– الدعوة إلى المخاطرة العلمية المحسوبة للاكتشاف .

(٢) قائمـة الذاكـرة

من ناحية تصميم المادة التعليمية :

١ – وضع المادة التعليمية على شكل حقائق تقريرية .
٢ – عرض المادة على أنها قضايا مسلم بصحتها ونهائية .
٣ – تقييد فكر الطالب باستيعاب ما قدم له .
٤ – المادة التعليمية حقائق ومفاهيم ومعلومات للتحصيل .
٥ – عرض المادة على شكل موضوعات منفصلة .
٦ – عرض أمثلة قليلة لا تسمح بالتجريد .
٧ – المادة تتضمن جزئيات وتفريعات غير منظمة .

٨ – اللغة توحي بالاستبداد والسيطرة (افعل ولا تفعل) .
٩ – غرس التبعية وخلع القدسية على بعض الأشخاص والأفكار
١٠– تقييد المادة بخبرات غير مباشرة لا علاقة لها بالبيئة .

من ناحية التدريبـات :

١١– إخضاع المادة للتذكر والتعرف والحفظ .
١٢– لا تحقق حواراً بين المتعلم والمعلم .
١٣– المادة المعروضة غير معللة ولا مفسرة .
١٤– خلو الأسئلة من الموازنات وإعمال الفكر .
١٥– استخدام التدريبات التلقينية .
١٦– إهمال البحث عن العلاقات بين القضايا .
١٧– الحديث عن الصور ومضامينها .
١٨– البعد عن الدعوة للتعلم الذاتي .
١٩– خلو الأسئلة من إتاحة الفرصة لاستخدام الخيال .
٢٠– الارتباط الدقيق بالمادة المفروضة ومضامينها .

٣ – خطـوات التحليـل :

يسير تحليل مضامين كتب اللغة العربية في الخطوات التالية على الترتيب :

أ – قراءة قائمتي مفردات الذاكرة والإبداع ، وتحديد المقصود من كل مفردة من مفردات القائمتين في ضوء تعريفها .

ب – قراءة الكتب موضوع الدراسة كتاباً كتاباً قراءة استيعاب ، وتقسيم كل كتاب إلى موضوعاته وتدريباته ، باعتبار الموضوع وحدة فكرية . وكذلك حساب أعدادها .

جـ – وضع علامة أمام كل موضوع أو تدريب ، وتحديد نوع المجال الذي ينتمي إليه ، وهل هو إبداع أو ذاكرة ؟ ويستمر هذا التحديد حتي ينتهي كل كتاب .

د – رصد مفردات كل كتاب في استمارات تحليل المحتوى الخاصة به ، وبيان تكرارات كل مفردة مرتبطة بالإبداع أو الذاكرة .

هـ – تفريغ استمارات تحليل المحتوى الخاصة بكل كتاب على حِدَة ، بحسب الصف الدراسي ، وبحسب كل فئة من كتب اللغة العربية .

وبذلك تم تحديد مفردات الإبداع ومفردات الذاكرة التي تتضمنها كل فئة من فئات الكتب الثلاثة : كتب القراءة العربية ، والأسئلة النموذجية المطورة ، والكتب الخارجية ، وحساب النسب المئوية لكل منها ، وتم حساب النسب المئوية لمفردات الذاكرة ومفردات الإبداع على أساس اعتبار المجموع الكلي للموضوعات ، وكذلك التدريبات – المقام الذي يقسم عليه العدد المرتبط بكل مجال باعتباره البسط × ١٠٠ .

٤ – ثبات التحليل :

لإيجاد ثبات تحليل المحتوى قام الباحث بتحليل الكتب موضوع الدراسة في أول شهر فبراير ١٩٨٩ ثم قام بإعادة تحليل ١٠٪ من صفحات هذه الكتب بعد مضى أسبوعين من تاريخ التحليل الأول ، وذلك في ضوء قائمتي مفردات الذاكرة والإبداع ، وتمت مقارنة النتائج التي توصل إليها الباحث في التحليلين بالنسبة للموضوعات والتدريبات نفسها ، وحساب معامل الارتباط بين النتائج ، وقد بلغت قيمته ٠,٨٢ درجة عالية من الارتباط ، مما يدل على مدى صحة ثبات التحليل .

نتائج الدراسة – تفسيرها ومناقشتها

تم تحليل كتب القراءة العربية ، ونماذج الأسئلة المطورة ، والكتب الخارجية على ضوء قائمتي الذاكرة والإبداع لمعرفة النسب المئوية التي يحظى بها كل كتاب من ناحيتي المادة التعليمية والتدريبات التي يتضمنها ، وبحسب كل فئة من الفئات

الثلاث للكتب التي سيتم تحليلها ، ويمكن توضيح نتائج التحليل كما يلي :

١ – أن عدد النصوص القرائية والأدبية في كتب القراءة العربية التي تنتمي إلى مجال الإبداع تراوحت بين نص واحد ، وثلاثة نصوص ، وأن النسب المئوية لها في الصفوف من الأول حتى السادس كانت على الترتيب ٢,٩٤٪ ، ٤,٧٦٪ ، ٢,٣٨٪ ، ٢,٤٣٪ ، ٦,٦٦٪ ، ٦,٩٧٪ .

٢ – أن عدد النصوص القرائية والأدبية في كتب القراءة العربية التي تنتمي إلى مجال الذاكرة تراوحت بين ٣٣ نصاً في الصف الأول و ٤٢ نصاً في الصف الخامس ، وأن النسب المئوية لها في الصفوف من الأول إلى السادس كانت على الترتيب ٩٧,٠٦٪ ، ٩٥,٢٤٪ ، ٩٧,٦٢٪ ، ٩٧,٥٧٪ ، ٩٣,٣٤٪ ، ٩٣,٠٣٪ .

٣ – أن عدد التدريبات التي تنتمي إلى مجال الإبداع في كتب القراءة العربية تراوحت بين ١٧ تدريباً في الصف الأول و ٣٢ تدريباً في الصف السادس ، وأن النسب المئوية لها في الصفوف من الأول حتي السادس كانت على الترتيب ٣,٨٨٪ ، ٥,٩٨٪ ، ٤,٨٩٪ ، ٦,٢٣٪ ، ٩,٤٥٪ ، ٧,٦٣٪ .

٤ – أن عدد التدريبات التي تنتمي إلى مجال الذاكرة في كتب القراءة العربية تراوحت بين ٢٤٩ تدريباً في الصف الخامس و ٤٢١ تدريباً في الصف الأول ، وأن النسب المئوية لها في الصفوف من الأول وحتى السادس كانت على الترتيب ٩٦,١٢٪ ، ٩٤,٠٢٪ ، ٩٥,١١٪ ، ٩٣,٧٧٪ ، ٩٠,٥٥٪ ، ٩٢,٣٧٪ .

٥ – أن عدد التدريبات التي تنتمي إلى مجال الإبداع في نماذج الأسئلة المطورة بالصف الخامس ١٥ نصاً ، بنسبة ٥٣,٥٨٪ ، وفي الصف السادس ١٨ نصاً بنسبة ٥٦,٢٥٪ .

٦ – أن عدد التدريبات التي تنتمي إلى مجال الذاكرة في نماذج الأسئلة المطورة بالصف الخامس ١٣ نصاً ، بنسبة ٤٦,٤٢٪ ، وفي الصف السادس ١٤ نصاً بنسبة ٤٣,٧٥٪ .

٧ – ان عدد النصوص القرائية والأدبية في الكتب الخارجية كانت هي نفس النصوص المتضمنة في كتب القراءة العربية المقررة بالتعليم الأساسي ، وأن نسبة هذه النصوص في مجالي الذاكرة والإبداع هي النسب نفسها الواردة في كتب القراءة العربية المقررة بالتعليم الأساسي والتي سبق عرضها .

٨ – أن عدد التدريبات التي تنتمي إلى مجال الإبداع في الكتب الخارجية تراوحت بين ١٩ تدريباً في الصف الثالث و ٢٧ تدريباً في الصف السادس ، وأن النسبة المئوية لها في الصفوف من الأول حتى السادس كانت على الترتيب ٣,٢٧٪ ، ٤,٢٧٪ ، ٢,٨٧٪ ، ٤,٥٨٪ ، ٦,٤٪ ، ٥,٤٦٪ .

٩ – أن عدد التدريبات التي تنتمي إلى مجال الذاكرة في الكتب الخارجية تراوحت بين ٤٦٨ تدريباً في الصف الخامس ، ٦٤٣ تدريباً في الصف الثالث ، وأن النسب المئوية لها في الصفوف من الأول حتى السادس كانت على الترتيب ٩٦,٧٣٪ ، ٩٥,٧٣٪ ، ٩٧,١٣٪ ، ٩٥,٤٢٪ ، ٩٣,٦٪ ، ٩٤,٥٤٪ .

مناقشة النتائج وتفسيرها

يتضح من عرض النتائج السابقة مجموعة من المعطيات يمكن تصنيفها بحسب نوعية الكتب التي تم تحليلها كما يلي :

أولاً : نتائج ترتبط بكتب القراءة العربية المقررة :

١ – أن مفردات الذاكرة هي السائدة في نصوص كتب القراءة العربية المقدمة لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ، وقد وصلت نسبتها إلى ٩٦٪ تقريباً في المادة التعليمية المتضمنة في هذه الكتب ؛ حيث اقتصرت على عرض معلومات متنوعة عما يحيط بالطفل في بيئته أو البيئات العربية والدولية عن المأكل ، والملبس ، والتعليم ، والرياضة ، ومعالم البلاد ، والفصول الأربعة ، والأسرة ، والوطن ، والقصص ، والأخلاقيات ، والزراعة ، والصناعة ، والتجارة ،

والسياحة ، واقتصرت النصوص التى اندرجت تحت مفردات الإبداع على نسبة ٤٪ تقريباً وشملت إتاحة الفرصة للتجريد من أمثلة ، ووضع المادة على شكل مشكلة ، أو لغز ، والأنشطة المصاحبة التي تقوم على تنمية التعليم الذاتي .

٢ – أن مفردات الذاكرة لها السيادة أيضاً على مستوى التدريبات المتضمَّنة في كتب القراءة العربية المقدمة لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ، وقد وصلت نسبتها إلى ٩٤٪ تقريباً . وقد استغرقت التدريبات نوعية من الأسئلة التحصيلية التي تبدأ بالأسئلة الآتية : أجِبْ ، اقرأْ ، اكتبْ ، أكمِلْ ، املأْ ، استخرجْ ، مَنْ ، ما ، ماذا ، هل ، بِمَ ، كيفَ ، تحدثْ ، اعرضْ ، مَثِّل ، تَتَبَّعْ ، ارسمْ ، ضعْ ، صِلْ ، على حين اقتصرت التدريبات التي اندرجت تحت مفردات الإبداع على نسبة ٦٪ تقريباً ، وشملت هذه التدريبات أسئلة تخضع مادة الدرس للنقد وإبداء الرأي ، واستخدام التدريبات التكوينية لا التلقينية ، مثل الأسئلة المبدوءة بما يلي : أي التعبيرين أجمل ، كَوِّنْ ، استخدِمْ ، رَتِّبْ ، لماذا ، لَخِّصْ ، صِفْ ، قارِنْ ، استعمِلْ .

ثانياً : نتائج ترتبط بنماذج الأسئلة المطورة :

١ – أن مفردات الإبداع نالت وزناً نسبياً أعلى من مفردات الذاكرة في المادة التعليمية المتضمنة في نماذج الأسئلة المطورة ؛ حيث وصلت نسبتها المئوية إلى ٥٥٪ فبعضها عرض المادة التعليمية على شكل مشكلات ، وإتاحة التحري العقلي بعرض المقدمات ثم النتائج ، والدعوة إلى فحص البيئة بحثاً عن خبرات جديدة ، أما النصوص التي اندرجت تحت الذاكرة فقد وصلت نسبتها المئوية إلى ٤٥٪ ، وتناولت موضوعات تتصل بالمعلومات الدينية والبطولات ، والحيوانات ، والأخلاقيات ، والقصص التي تتضمن القيم التربوية .

٢ – أن مفردات الإبداع نالت وزناً نسبياً ، مثل مفردات الذاكرة تقريباً في التدريبات المتضمنة في نماذج الأسئلة المطورة ؛ حيث وصلت نسبتها إلى ٤٧٪ ، فقد تم إخضاع مادة الدروس للنقد وإبداء الرأي ، والدعوة إلى تفسير المادة العلمية ، والدعوة إلى الموازنة بين الآراء والحقائق ، واستخدام

التدريبات التكوينية ، وطلب إيجاد علاقات بين الأشياء والمجردات ، أما التدريبات التي ارتبطت بمفردات الذاكرة فقد وصلت نسبتها إلى ٥٣٪ ، وتناولت أنماط الأسئلة التي سادت في كتب القراءة العربية المقررة على التلاميذ في التعليم الأساسي .

ثالثاً : نتائج ترتبط بالكتب الخارجية :

١ – أن مفردات الذاكرة هي السائدة في نصوص الكتب الخارجية المقدمة لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي ، فقد وصلت نسبتها المئوية إلى ٩٦٪ تقريباً ، فهي قد وضعت المادة التعليمية على شكل حقائق تقريرية ، وعلى أنها قضايا مسلم بصحتها ونهائيتها ، وهي تقييد لفكر التلميذ باستيعاب ما قدم له ، والمادة التعليمية حقائق ومفاهيم ومعلومات للتحصيل ، وتقييد المادة بخبرات غير مباشرة لا علاقة لها بالبيئة .

إن الكتب الخارجية تجافي حقائق تربوية مهمة في تنمية الإبداع ، فهي لا تقدم للمتعلم إلا ما هو متاح من خبرات محدودة تتمثل في الموضوعات المقررة على التلاميذ ، على حين يتضمن كتاب الوزارة المقرر على التلاميذ موضوعات إضافية ليست مقررة على التلاميذ ، ولكنها للقراءة الحرة وإثراء القدرات والمهارات اللغوية النقدية التذوقية وحرية الأداء اللغوي ، وسيادة النظرة التفتيتية في الكتب الخارجية ، والتي تتمثل في التركيز على تلقين المتعلمين الدروس وحشو أذهانهم بها ، دون دعم العادات التي تشجع على الابتكار والمبادأة تقتل الإبداع .

٢ – أن مفردات الذاكرة هي السائدة أيضاً في التدريبات التي تتضمنها الكتب الخارجية المقدمة لتلاميذ التعليم الأساسى ؛ فقد وصلت نسبتها المئوية إلى ٩٥٪ ، فهي قدمت تدريبات تساعد على إخضاع المادة للتذكر والتعرف والحفظ ، وهي لا تعلل ولا تفسر ، وتخلو من الموازنات وإعمال الفكر ، وتدور حول التلقين ، وتهمل البحث عن العلاقات بين القضايا والأفكار ، والتدريبات التي تتضمنها الكتب الخارجية ترسخ القاعدة الأساسية التي مؤداها أن

النجاح لا يتم إلا على أساس الحفظ والاستظهار للمقررات الدراسية .

إن الكتب الخارجية تحرم الطالب من التدريب على التفكير وتمنعه من إعمال عقله وذوقه ، فهي تقتل التفكير وتقتل التذوق ؛ ذلك أنها تضع الإجابات النموذجية عقب كل سؤال ، وهي تلقن الطالب الإجابات الخاصة بالتفكير والتذوق الأدبي ، فتصنع الطالب الآلي المبرمج بالمعلومات المعتمد على غيره ، غير المستقل ؛ حيث تضعه في قوالب فكرية ولغوية وثقافية محفوظة وجامدة .

توصيات ومقترحـات

على ضوء النتائج التي تم التوصل إليها ، وتحقيقاً للجوانب الإيجابية ، وتلافياً للجوانب السلبية التي كشفت عنها هذه الدراسة التحليلية ، وتحقيقاً للبند الرابع من استراتيجية تطوير التعليم في مصر التي تنص على خلق جيل من العلماء ورعايتهم ، وتحويل ذلك إلى واقع عملي يمارس في مدارسنا – **يمكن التوصية بما يلي** :

التوصية الأولـى :

ضرورة الاهتمام بثقافة الإبداع عند تأليف الكتب الدراسية في مجال مناهج اللغة العربية في ناحية تصميم المادة التعليمية ، فيتم الاهتمام بإعداد المادة التعليمية على شكل وحدات دراسية تشكل كلاً متكاملاً بين فروع اللغة العربية ، وبحيث تصاغ الدروس على شكل مشكلات تتحدى عقول التلاميذ وتستثيرهم ، وتتيح الفرصة للخيال والتفكير والتحرى العقلي ، وتدعو إلى فحص البيئة ؛ بحثاً عن خبرات جديدة ، وبحيث تشعر التلميذ أن هذه المادة التعليمية حلقة من حلقات التطور الذي لا يقف عند حد .

التوصية الثانية :

ضرورة العناية بإعداد التدريبات اللغوية ، سواء كانت في كتب القراءة المدرسية أو في صورة نماذج الأسئلة المطورة – على ضوء ثقافة الإبداع ، بحيث تتيح هذه التدريبات للتلاميذ الفرصة للنقد وإبداء الرأي ، وتفسير المادة العلمية ، والموازنة

بين الآراء والحقائق ، واستخدام التدريبات التكوينية لا التلقينية ، وإيجاد علاقات بين الأشياء والمجردات ، وتجاوز وصف الصورة إلى بيان الرأي والربط ، وإتاحة الفرصة للتعلم الذاتي ، والدعوة إلى استخدام الخيال ، وإلى المخاطرة العلمية المحسوبة للاكتشاف .

وهناك مجموعة من البحوث المقترحة التي تستكمل الدراسة الحالية وهي :

١ – القيام بدراسة تحليلية لطرق تدريس اللغة العربية في إحدى المراحل التعليمية ؛ لمعرفة علاقتها ومدى تحقيقها لثقافة الإبداع .

٢ – تدريب المعلمين على مهارات وقدرات وأنشطة لازمة لتنمية الإبداع والابتكار عند تلاميذهم .

٣ – تحديد الأوزان النسبية المناسبة واللازمة لكل مرحلة تعليمية ، بالنسبة لثقافة الذاكرة وثقافة الإبداع والابتكار .

٤ – توعية أولياء الأمور بأهمية العناية بثقافة الإبداع عند أبنائهم ؛ حتى يكون هناك تكامل بين المنزل والمدرسة في تشكيل الطفل المبدع والمبتكر .

٥ – تطوير أساليب التقويم الحالية ؛ لتمتد إلى جوانب الإبداع من خلال مواقف شفوية وعملية ، بالإضافة إلى الاختبارات النظرية التي يتعرض لها التلاميذ .

* * *